نص الخطاب الذى آذاعه السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة على المواطنين فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الجمعة الموافق ٩ يونيو سنة ١٩٦٧

أيها الإخوة :

لقد تعودنا معا فى أوقات النصر وفى أوقات المحنة ، فى الساعات الحلوة ، وفى الساعات المرة ، أن نجلس معا ، وأن نتحدث بقلوب مفتوحة ، وأن نتصارح بالحقائق ، مؤمنين أنه عن هذا الطريق وحده ، نستطيع دائما أن نجد اتجاهنا السليم ، مهما كانت الظروف عصيبة ، ومهما كان الضوء خافتا .

ولا نستطيع أن نخفى على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة . لكنى واثق أننا جميعا نستطيع ــ وفى مدة قصيرة ــ أن نجتاز موقفنا الصعب ، وإن كنا نحتاج فى ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة ، والشجاعة الأدبية ، ومقدرة العمل المتفانية

لكننا أيها الإخوة ، نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ماوقع ، لكى نتتبع التطورات وخط سيرها فى وصولها إلى ماوصلت إليه . إننا نعرف جميعا كيف بدأت الأزمة فى الشرق الأوسط ، فى النصف الأول من مايو الماضى .

كانت هناك خطة من العدو لغزو سوريا ، وكانت تصريحات ساسته وقادته العسكريين كلها تقول بذلك صراحة . وكانت الأدلة متوافرة على وجود التدبير .

كانت مصادر إخواننا السوريين قاطعة فى ذلك . وكانت معلوماتنا الوثيقة تؤكده ، بل وقام أصدقاؤنا فى الاتحاد السوفيتى بإخطار الوفد البرلمانى ، الذى كان يزور موسكو فى مطلع الشهر الماضى ، بأن هناك قصدا مبيتا ضد سوريا .

ولقد وجدنا واجبا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين . وفضلا عن أن ذلك واجب الأخوة العربية ، فهو أيضا واجب الأمن الوطنى ، فإن البادئ بسوريا سوف يثنى بمصر .

ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق . وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة ، منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية ، ثم عودة قواتنا إلى موقع شرم الشيخ المتحكم فى مضايق تيران ، والتى كان العدو الإسرائيلى يستعملها كأثر من آثار العدوان الثلاثى الذى وقع علينا سنة ١٩٥٦

ولقد كان مرور علم العدو أمام قواتنا أمرا لايحتمل ، فضلا عن دواعى أخرى تتصل بأعز أمانى الأمة العربية .

ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى فى المعدات وفى التدريب ، قادرة على رده وعلى ردعه ، وكنا ندرك أن احتمال الصراع بالقوة المسلحة قائم ، وقبلنا بالمخاطرة .

وكانت أمامنا عوامل عديدة وطنية ، وعربية ، ودولية . بينها رسالة من الرئيس الأمريكى ليندون جونسون سلمت إلى سفيرنا فى واشنطن يوم ٢٦ مايو ، تطالب إلينا ضبط النفس وألا نكون البادئين بإطلاق النار ، وإلا فإننا سوف نواجه نتائج خطيرة .

وفى نفس الليلة فإن السفير السوفيتى طلب مقابلتى بصفة عاجلة فى الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل ، وأبلغنى بطلب ملح من الحكومة السوفييتية ألا نكون البادئين بإطلاق النار .

وفى صباح يوم الإثنين الماضى ، الخامس من يونيه ، جاءت ضربة العدو . وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه ، فلا بد أن نقول فى نفس الوقت ، وبثقة أكيدة إنها جاءت بأكبر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو ، جاءت لتصفى حساباتها مع حركة القومية العربية .

ولقد كانت هناك مفاجآت تلفت النظر :

أولها — أن العدو الذى كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال ، جاء من الغرب ، الأمر الذى يقطع بأن هناك تسهيلات تفوق مقدرته ، وتتعدى المدى المحسوب لقوته قد أعطيت له .

وثانيها — فإن العدو غطى فى وقت واحد ، جميع المطارات العسكرية والمدنية فى الجمهورية العربية المتحدة ، ومعنى ذلك أنه كان يعتمد على قوة أخرى غير قوته العادية ، لحماية أجوائه من أى رد فعل من جانبنا ، كما أنه كان يترك بقية الجبهات العربية لمعاونات أخرى استطاع أن يحصل عليها .

وثالثها — فإن الدلائل واضحة على وجود تواطؤ استعمارى معه ، يحاول أن يستفيد من عبرة التواطؤ المكشوف السابق سنة ١٩٥٦ ، فيغطى نفسه هذه المرة بلؤم وخبث . ومع ذلك فالثابت الآن أن حاملات طائرات أمريكية وبريطانية ، كانت بقرب شواطىء العدو تساعد مجهوده الحربى ، كما أن طائرات بريطانية أغارت فى وضح النهار على بعض المواقع فى الجبهة السورية ، وفى الجبهة المصرية ، إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا .

ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك، أن قواتنا البرية التى كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة فى الصحراء المكشوفة ، وجدت نفسها فى الموقف الصعب ، لأن الغطاء الجوى فوقها لم يكن كافيا لإزاء تفوق حاسم فى القوى الجوية المعادية ، بحيث إنه يمكن القول — بغير أن يكون فى ذلك أى أثر للانفعال أو المبالغة — إن العدو كان يعمل بقوة جوية تزيد ثلاث مرات عن قوته العادية .

ولقد كان هذا هو ما واجهته أيضا قوات الجيش العربى الأردنى التى قاتلت معركة باسلة بقيادة الملك حسين ، الذى أقول للحق وللأمانة ، إنه اتخذ موقفا ممتازا . وأعترف بأن قلبى كان ينزف دما، وأنا أتابع معارك جيشه العربى الباسل فى القدس، وغيرها من مواقع الضفة الغربية ، فى ليلة حشد فيها العدو وقواه المتآمرة ما لا يقل عن أربعمائة طائرة للعمل فوق الجبهة الأردنية .

ولقد كانت هناك جهود رائعة وشريفة. لقد أعطى الشعب الجزائرى وقائده الكبير هوارى بومدين ، بغير تحفظات ، وبغير حساب للمعركة . وأعطى شعب العراق ، وقائده المخلص عبد الرحمن عارف ، بغير تحفظات ، وبغير حساب للمعركة . وقاتل الجيش السورى قتالا بطوليا ، معززا بقوى الشعب السورى العظيم ، وبقيادة حكومته الوطنية .

واتخذت شعوب وحكومات السودان والكويت واليمن ولبنان وتونس والمغرب مواقف مشرفة ، ووقفت شعوب الأمة العربية جميعا بغير استثناء ، على طول امتداد الوطن العربى موقف الرجولة والعزة ، موقف التصميم ، موقف الإصرار على أن الحق العربى لن يضيع ، ولن يهون ، وأن الحرب دفاعا عنه ممتدة مهما كانت التضحيات والنكسات على طريق النصر الحتمى الأكيد .

وكانت هناك أمم عظيمة ، خارج العالم العربى ، قدمت لنا مالا يمكن تقديره من تأييدها المعنوى .

لكن المؤامرة ، ولا بد أن نقول ذلك بشجاعة الرجال ، كانت أكبر وأعتى . ولقد كان تركيز العدو الأساسى على الجبهة المصرية التى دفع عليها بكل قوته الرئيسية من المدرعات والمشاة معززة بتفوق جوى رسمت لكم من قبل صورة لأبعاده .

ولم تكن طبيعة الصحراء تسمح بدفاع كامل ، خصوصا مع التفوق المعادى فى الجو .

ولقد أدركت أن تطور المعركة المسلحة قد لا يكون مواتيا لنا ، وحاولت مع غيرى أن نستخدم كل مصادر القوة العربية . ولقد دخل البترول العربى ليؤدى دوره ، ودخلت قناة السويس لتؤدى دورها . وما زال هناك دور كبير مطلوب من العمل العربى العام ، وكلى ثقة فى أنه سوف يستطيع أداءه .

ولقد اضطرت قواتنا المسلحة فى سيناء إلى إخلاء خط الدفاع الأول ، وحاربت معارك رهيبة بالدبابات والطائرات على خط الدفاع الثانى .

ثم استجبنا لقرار وقف إطلاق النار أمام تأكيدات وردت فى مشروع القرار السوفيتى الأخير المقدم إلى مجلس الأمن ، وأمام تصريحات فرنسية بأن أحدا لا يستطيع تحقيق أى توسع إقليمى على أساس العدوان الأخير ، وأمام رأى عام دولى ، خصوصا فى آسيا وأفريقيا ، يرى موقفنا ويشعر بشاعة قوى السيطرة العالمية التى انقضت علينا .

وأمامنا الآن عدة مهام عاجلة :

(المهمة الأولى) أن نزيل آثار هذا العدوان علينا ، وأن نقف مع الأمة العربية موقف الصلابة والصمود . وبرغم النكسة فإن الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها قادرة على أن تصر على إزالة آثار العدوان .

(والمهمة الثانية) أن ندرك درس النكسة ، وهناك فى هذا الصدد ثلاث حقائق حيوية :

١ — إن القضاء على الاستعمار فى العالم العربى يترك إسرائيل بقواها الذاتية . ومهما كانت الظروف ، ومهما طال المدى ، فإن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل .

٢ — إن إعادة توجيه المصالح العربية فى خدمة الحق العربى ضمان أولى ، فإن الأسطول الأمريكى السادس كان يتحرك ببترول عربى ، وهناك قواعد عربية وضعت قسرا وبرغم إرادة الشعوب فى خدمة العدوان .

٣ — إن الأمر الآن يقتضى كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها ، وذلك ضمان لا بديل له فى هذه الظروف .

نصل الآن إلى نقطة هامة فى هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا : هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية فى تبعات هذه النكسة ؟ وأقول لكم بصدق — وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة — فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها .

ولقد اتخذت قرارا ، أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه :

لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى ، وأى دور سياسى . وأن أعود إلى صفوف الجماهير ، أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر .

إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها . وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر . والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر ، وليس ذلك صحيحا ، لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر ، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر .

ولقد كنت أقول لكم دائما إن الأمة هى الباقية ، وإن أى فرد مهما كان دوره ، ومهما بلغ إسهامه فى قضايا وطنه هو أداة لإرادة شعبية ، وليس هو صانع هذه الإرادة الشعبية .

وتطبيقا لنص المادة ١١٠ من الدستور المؤقت الصادر فى شهر مارس سنة ١٩٦٤ ، فلقد كلفت زميلى وصديقى وأخى زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية ، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة .

وبعد هذا القرار ، فإننى أضع كل ما عندى تحت طلبه ، وفى خدمة الظروف الخطيرة التى يجتازها شعبنا .

إننى بذلك لا أصفى الثورة ، ولكن الثورة ليست حكرا على جيل واحد من الثوار .

وإنى لأعتز بإسهام هذا الجيل من الثوار . لقد حقق جلاء الاستعمار البريطانى وحقق استقلال مصر ، وحدد شخصيتها العربية ، وحارب سياسة مناطق النفوذ فى العالم العربى ، وقاد الثورة الاجتماعية ، وأحدث تحولا عميقا فى الواقع المصرى ، أكد تحقيق سيطرة الشعب على موارد ثروته وعلى ناتج العمل الوطنى ، واسترد قناة السويس ، ووضع أسس الانطلاق الصناعى فى مصر ، وبنى السد العالى ليفرش الخضرة الخصبة على الصحراء المجدبة ، ومد شبكات الكهرباء المحركة فوق وادى النيل الشمالى كله ، وبفر موارد البترول بعد انتظار طويل . وأهم من ذلك وضع على قيادة العمل السياسى ، تحالف قوى الشعب العاملة ، الذى هو المصدر الدائم لقيادات متجددة ، تحمل أعلام النضال الوطنى والقومى مرحلة بعد مرحلة ، وتبنى الاشتراكية وتحقق وتنتصر .

إن ثقتى غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطنى ، للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، إن وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل إطار هذه الوحدة ، قادر على أن يصنع — بالعمل وبالعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت أكثر من مرة — معجزات ضخمة فى هذا البلد ، ليكون قوة لنفسه ولأمته العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمى القائم على العدل .

إن التضحيات التى بذلها شعبنا ، وروحه المتوقدة خلال فترة الأزمة والبطولات المجيدة التى كتبها الضباط والجنود من قواتنا المسلحة بدمائهم ، سوف تبقى شعلة ضوء لاتنطفئ فى تاريخنا ، وإلهاما عظيما للمستقبل وآماله الكبار . لقد كان الشعب رائعا كعادته ، أصيلا كطبيعته ، مؤمنا صادقا مخلصا .

وكان أفراد قواتنا المسلحة نموذجا مشرفا للإنسان العربى فى كل زمان ومكان . لقد دافعوا عن حبات الرمال فى الصحراء إلى آخر قطرة من دمهم ، وكانوا فى الجو — وبرغم التفوق المعادى — أساطير للبذل وللفداء وللإقدام والاندفاع الشريف إلى أداء الواجب أنبل ما يكون أداؤه .

إن هذه ساعة للعمل ، وليست ساعة للحزن ، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية .

إن قلبى كله معكم . وأريد أن تكون قلوبكم كلها معى ، ولكن الله معنا جميعا أملا فى قلوبنا وضياء وهدى .